باب المراسلة والمناظرة

العاطفة والعقل في الشعر

حول « ديوان الكروان »

ابشر فارس

قرأت في « مقتطف » فبراير الماضي نقداً لديوان الكروان بقلم (خ . ش) . فاسبت فيه ما اريد التعليق عليه

قال : « ولعلّ فكره (يعني فكر الاستاذ العقاد) يثير عاطفته اكثر مما تثير عاطفته فكره . فهو كأنما ينقل قلبهُ الى رأسه اكثر مما ينزل رأسه الى قلبه »

فشل هذا التمييز بين العاطفة والعقل ثم رجع صنوف الشعر الى كل منهما مما لا اذهب اليه . وكأن (خ . ش) ينظر الى الشعر بعيني « الرومانتي » romantique الذي لا يرى العاطفة الاّ حيث يصيب الوان الاحساس مبسوطة مستفيضة . وكأنهُ يرى العقل حيث يصيب هذه الالوان مردودة او مكبوحة او مستورة . والتحقيق ان العاطفة تبرز في اشكال شتى : فتارة في غلوٍّ وجلبة شأنها عند (هوغو) و(لامرتين) . واخرى في تحفظ ومغالطة ، شأنها عند (دي ليل) ، وثالثة في خفة ومداورة ، شأنها عند (فرلين) . والغالب في الظن أن العاطفة التي يعنيها (خ . ش) هي عاطفة (هوغو) و (لامرتين) . ولولا ان يكون الامر هكذا ما ميز بين القلب والرأس مثل ذلك التمييز

وسواء أكانت العاطفة او متئدة فهي ملاك الشعر . فلا شعر حيث لا عاطفة . ولربما اتفق للعاطفة ان تفور ولربما اتفق لها ان تتزن . فان اتزنت كانت طوع امر العقل . لان العاطفة المتحفظة أو العاطفة المختفية لا تبلغ مبلغها من التحفظ أو الخفة الاّ اذا تخللها العقل . فالعقل مهذب العاطفة لا مثيرها ، وبالتالي ليس للعقل ان يرسل الشعر . فمن الغريب اذن ان يقول (خ . ش) « ولعلّ فكر العقاد يثير عاطفته اكثر مما تثير عاطفتهُ فكره »

بل اذا خُلّي القلب وشأنه زلّ واورط صاحبه . والى هذا نظر أبو الطيب حين قال :

ولا بدّ للقلب من آلةٍ ورأي يصدع صُمّ الصفا

على ان إعمال العقل في الشعر ليس بمستقبح . فالعقل يصفي الوان الاحساس ، اذ يخفف من فوران العاطفة ويرد من نزوان القلب . ولكنه يحق له ان يعتاض عن شدة الفوران وفرط النزوان تارة طلب الفن للفن والدقة في التعبير كما فعل اهل البرناس Parnassiens ، وتارة الوصف الصادق والكف عن الغلو كما صنع الواقعيون Réalistes وتارة الرمز والموسيقى والانهمال كما فعل الرمزيون Symbolistes والعقاديين اهل البرناس وبين الواقعيين